International Jordanian Journal Aryam for Humanities and Social Sciences; IJJA
Volume1, Issue3, 2019

Desert space in the poetry of Abu Kharash Al-Hudhali

Dr. Jumana Muhammad Nayef Al-Dulaimi

Researcher and Lecturer at the Regional Studies Center – University of Mosul, Iraq, in the Department of Public Policy.

Received: 6/6/2019
Revised: 7/7/2019
Accepted: 13/8/2019
Published online: 16/9/2019

* *Corresponding author:*
Email: jumanam.n@yahoo.com

https://doi.org/10.65811/134

Citation: ***Al-Dulaimi****Jl. (2019).* ***Desert space in the poetry of Abu Kharash Al-Hudhali****. International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA, 1(3).*

©2019 The Author(s). This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) license. https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences: Issn Online **2706-8455**

Abstract: The desert as a spatial, temporal or symbolic component, but visibility varies according to the emotional state woven by the human experience, giving each experience a special presence and a picture different from those of the discoverers are mine, and for travelers and traders crossing. As well as poets, each poet has his own experience in the desert. The Tramps and Hathilid poets stand at the forefront of the poets whose poetry has many images of the desert. The Sahara is a great architectural building, whose strangeness gives it privacy and uniqueness, shaped and organized by each poet differently through the linguistic structures that are available from the language container in what he sees fit to complete this construction according to his vision. The reader through it to the existing spaces reality or imagined sought by the sender. A symbolic or mythical space can be formed, turning into multiple worlds that converge or diverge, sometimes complementing each other.

Keywords: Space, desert, Concept, dynamic, Abu Kharash.

فضاء الصحراء في شعر ابي خراش الهذلي

د. جمانة الدليمي

الملخص: إن الصحراء كمكون مكاني او زماني او رمزي انما تختلف الرؤية تجاهها حسب الحالة الوجدانية التي تنسجها التجربة الإنسانية، فتمنحها كل تجربة وجودا خاصا وصورة تختلف عن مثيلاتها فهي للمكتشفين منجما، وللرحالة وللتجار معبرا. وكذا للشعراء فلكل شاعر تجربته الخاصة في الصحراء. يقف الشعراء الصعاليك والهذليون في مقدمة الشعراء الذين حفل شعرهم بالكثير من صور الصحراء، فالصحراء بناء معماري عظيم، غرابته تمنحه الخصوصية والتفرد، يشكله وينظمه كل شاعر بصورة مختلفة عن طريق التراكيب اللغوية التي يمتاحها من وعاء اللغة بما يراه مناسبا لاكتمال هذا التشييد حسب رؤيته. فيحيل القارئ من خلالها الى فضاءات موجودة واقعا او متخيلة ينشدها المرسل. وقد تتشكل فضاء رمزيا او اسطوريا، فتحيل الى عوالم متعددة تتقارب او تتباعد، ويكمل بعضها الاخر أحيانا.

الكلمات المفتاحية: فضاء، صحراء، مفهوم، ديناميكي، أبو خراش.

مقدمة الدراسة:

إن الخطاب الادبي ككل يقدم خصائصه من خلال التمعن في مكوناته والتعمق في جزئياته وتفصيلاته، وبهذا يمكن فهم مدلولاته، والكشف عن اسراره، والنص اذ يمتاح من دلو الطبيعة يصبح ثريا بألفاظه، عميقا في معانيه، حتى يبدو غنيا بألوان الطبيعة التي تمنحه فرادة وخصوصية، وبخاصة إذا امتلك عنان اللغة وأحسن توظيفها والإفادة من سعتها وغناها.

وقد يكون من المعقول القول بان الطبيعة هي اول ما استحوذ على عقل الانسان، ولطالما سعى الى الكشف عن اسرارها، وفك غموضها، والتكهن بما تخفيه من مجاهيل، بباعث من رغبات مختلطة من الدهشة والحب والخوف، وبدافع من الحاجة للإفادة من هذه الطبيعة وتسخيرها لتوفير متطلباته الحياتية.

افتتن العرب منذ القدم بالصحراء، وتعرضوا لها ولتفصيلاتها في اشعارهم، وعمل خيالهم في وصفها اعتمالا كان له أثر كبير في اظهار معالمها وتفسير ظواهرها كل حسب رؤيته، فقد تمثلت منبعا لإلهامهم، وكانت اشعارهم محاولة لإنشاء سلوك توافقي يهيئ لاندماجهم مع الطبيعة التي كانوا يعيشون في احضانها، ومسرحا لإتمام الابداع الذي كانوا ينشدونه، سواء في لحظة التأمل او باستدعاء الصور من الذاكرة ومزجها بالانفعالات التي يعيشها الشاعر إزاء تجربة معاشة، إذ تشكل الصحراء بتفصيلاتها الكون الشعري الحقيقي والمتخيل للفضاء الذاكراتي للمرسل، والمخترق للبؤر المؤمكنة داخل الذات الشاعرة.

يرتسم الفضاء الصحراوي عند ابي خراش الهذلي جمالا ينطوي على ميل إلى فك طلاسمها وكشف اسرارها المنكفئة بين خبايا آكامها وشعابها ورمالها المقفرة، بوصفها فضاء غامضا واسعا لا يتقيد بحدود مكانية، سعته توحي بالخلود والفناء في آن معا. يحمل من الاتساق والتناغم ما يلهم بوضعه في نسق لغوي يليق بكينونته الاخاذة. حتى الخلو فيها له دلالته ورمزيته.

وصف ابو خراش في شعره مظاهر الصحراء الصامتة والحية. وكان لها أثر خاص في نفسه.. كونه من الشعراء الصعاليك... الذين تتشكل عندهم الصحراء فضاء يمتزج بذواتهم... فأجاد التعبير عن جزئياتها... بما اتيح له من لغة هذيل التي وصفت بالجزالة والقوة... فوظف لغته الغنية التي

تمتاح من الصحراء قسوتها وقوتها وغموضها وسعتها...

أولا: فضاء مفاهيمي

يرتسم الفضاء في ذهنية الشاعر بمجموعة القيم والمفاهيم التي يحملها الأخير، ورؤية الشاعر الصعلوك للصحراء لطالما اتخذت طابع المجهول، ذلك ان حياته لم تكن في الواقع غير ارتياد واصب للمجهول بكل تفاصيله، والاجتهاد في فك مغاليقه، والتغلب عليه او الاندماج معه في كينونة واحدة، في مشهد يمكن وصفه بانه رد فعل إيجابي على مفهوم سلبي.

إن اول المفاهيم المترسخة في ذهن الصعلوك عن فضاء الصحراء تتمثل بالفقر والعوز، ذلك ان الحياة في فضاء الصحراء غالبا ما تتسم بنصب العيش، وتقهقر الأحوال المعيشية، بباعث من قلة الموارد فيه، وقد سميت الصحراء (بالقفر) الذي يعني بمفهومه الدقيق "الخلاء من الأرض والمفازة لا ماء فيه ولا نبات" [1](1) . فكان الخمص يلقي بظلاله على جزئيات هذا الفضاء قاطبة، فاخذ من الناس مأخذا بعيدا، وشاعت فيه الظواهر السلبية متمثلة بالسلب والنهب بين القبائل، فضلا عما يبعثه هذا الفضاء القاحل الممحل الممتد الى ما لانهاية في النفس الإنسانية من قلق إزاء مجاهيله؛ فاستحال فضاء فوضويا لا تحكمه سلطة ولا ينظمه قانون. ما يؤدي الى سرقة الممتلكات وبالتالي التدني الى حالة الفقر والجوع.[2](2)

وقد تفشت ظاهرة الفقر في قبيلة هذيل بشكل كبير ذلك ان معيشتهم البدوية "وطبيعة بيئتهم الصحراوية التي احتضنتهم وامتدت بهم عبر مساحات شاسعة، قد رسخت بجدب ارضها وندرة امطارها وشح مواردها في تكوين المجتمع الهذلي وبنائه الاجتماعي، اذ بدت غالبيته من الفقراء الذين كانوا يحيون عيشة خشنة، والتي تتسم بالكفاف والعدم وقلة ما في اليد" .[3](3)

شكل الفقر في المجتمع الصعلوكي ظاهرة اجتماعية لافتة للكثير من الشعراء الصعاليك، فقد ترددت في اشعارهم جميعا صيحات الفقر والجوع، وماجت في أنفسهم ثورة عارمة على أوضاعهم

---

[1][1] لسان العرب، ابن منظور، ١١٠/٥.

[2][2] اتجاهات الشعر عند الهذليين في الجاهلية والاسلام، دراسة موضوعية وفنية، محمد يوسف عبد العزيز غريب، جامعة اليرموك، كلية الاداب، ١٤٣٣هـ_٢٠١٢م : ٨٩.

[3][3] م.ن: ٨٩.

المتردية، وقد عرف عنهم جميعا الفقر، فذلك سيدهم عروة بن الورد يقول :[4][4]

ذريني للغنى اسعى فاني

رأيت الناس شرهم الفقير

وادناهم واهونهم عليهـــم

وان أمسى له حسب وخير

يباعده القريب وتزدريـــــه

حليلته وينهره الصغير

ويلقى ذو الغنى وله جلال

يكاد فؤاد صاحبه يطير

تلك فلسفة خاصة بثها عروة في ابياته إزاء ظاهرة الفقر، تمثلت بمثابة ثورة على هذا الواقع الذي يشعر فيه بالاضطهاد والهوان، وابتعاد الاهل والخليلة وكأننا به يصور الفقر كائنا يحفر النسيج الاجتماعي ويزرع بذور الفرقة[5][5]. وكما يبدو فان الأفق الثقافي الذي انطلق من الشاعر في تجسيد تجربته هيمنت عليه محددات المجتمع بكل ما يحمله من مفاهيم ورؤى.

اما أبو خراش الهذلي فقد رسم لوحات مقطعية حاول فيها اظهار جانب من حالة الفقر التي يعانيها المجتمع وإحدى اللوحات تمثلت في هجائه لرجل دميم الخلقة تزوج امرأة جميلة فيقول: [6][6]

لقد انكحت أسمـــــاء راس بقيرة

من الأدم اهداها امرؤ من بني غنم

[4][4] ديوان عروة بن الورد بن زيد العبسي، ت ٥٩٤، تحقيق عبد المعين الملوحي، دمشق – ١٩٦٦: ٣٥.

[5][5] ينظر: الحكمة في شعر الصعاليك (دراسة تحليلة) د. عمار المسعودي، مجلة اهل البيت، العدد ١٢: ٢٩٩.

[6][6] ابن هشام، السيرة النبوية: ٥٧/١.

رأى قدعا في عينيها، اذا يسوقها

الى غبغب العزى، فوسع في القسم

لقد انعكس اثر هذا المحدد المجتمعي على تصور الشاعر وابعاد تعامله الواقعي والشعري مع اشكاله التي ترتبط بالذات والأخر في آن معا، على وفق بواعث تتمازج فيها حالات القلق والقهر والازدراء في إطار تشبيهي فقد وضح هذا المقطع الشعري حالة مجتمعية سلبية انتجها الفقر والعوز الذي تثيره باستمرار دواعي البيئة الصحراوية، فأبناء القبيلة كانوا يأتون الاصنام موسم الحج وينتظرون ما يقدم للأصنام فيأكلونه. وربما استخدم الهجاء للتعبير في هذا المقام كون الحالتين سلبيتين فقبيلة الشاعر لا يليق بها هذا الفعل وينتقص من قيمتها بين القبائل وهي قبيلة المفاخر والشجاعة، فكأننا به يريد ان قبيلته هي تلك المرأة الحسناء التي زوجت الى الفقر الدميم .[7][٧]

مما لا شك فيه ان الصحراء لها سمات واضحة المعالم في حياة العربي عامة وفي شعره بشكل خاص، فلا ينفك يمتاح من طبيعتها الصامتة والحية تشبيهاته، فتتشكل هويته الشعرية مؤطرة بأبعادها وتفصيلاتها. فأبو خراش الهذلي ينهل من الطبيعة الحية تشبيها يبين فيه حالة الفقر واصفا نعله المهترئ مشبها تمزقه "بهيكل عظمي لطائر بعد ان يؤكل لحمه، وفي نعله من الخروق والتمزق مثل: ما بين الاضلاع والعظام والاجنحة، ويقول: انه حين يضطر الى السير بنعله هذه في الندى والمطر والوحل يفضل تركها والسير على قدميه"[8][٨]. يقول:[9][٩]

ونعل كأشلاء السماني نبذتها

خلاف الندي من اخر الليل اورهم

الانسان في فضاء الصحراء الممتد القاحل في صراع مستمر مع مجهول المصير يفرضه خطر احتمالية جفاف الماء والزرع، وشحة الموارد، والسعي لإيجاد ما يقيم أوده، ولهذا فقد كان امامه

---

[7][٧] ينظر: اتجاهات الشعر عند الهذليين في الجاهلية والإسلام: ٩٠.

[8][٨] شعر الصعاليك وتاثره بالبيئة، عبدالرحيم عصام احمد عبدالرحيم، رسالة ماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا، ١٤٨٣هـ_٢٠١٧م: ١٣٨.

[9][٩] ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٤هـ_١٩٦٥م: ١٣١.

خياران " إما ان يختزن مؤونته لأيام الشدة، وإما ان يعتاد القلة ويروض نفسه على الجوع"[10](10). وقد صور أبو خراش الهذلي احد هذين الخيارين في شعره. يقول :[11](11)

لقـــــد علمت ام الأديبر انني

أقول لها هدي ولا تذخري لحمي

فإن غدا إن لا نجد بعض زادنا

نفيء لـــك زادا او نعـدك بالازم

من اللافت للنظر ان نظام الصحراء يفرض على الشاعر التأقلم معه والاندماج فيه فنجد الشاعر "ينصح زوجته ان تقنن في اسراف ما اهدي لها من طعام حتى لا يأتي اليوم التالي فتطلب الطعام، فلا تجد منه جوابا سوى ان تمسك فمها عنه لأنه فقير لا يملك ما يطعمها به، فالكلمات (الهدية/ الازم) دلالة على ضيق العيش، فيما أورد الجاحظ والميداني ان الازم خير دواء للبطن أي امساك الفم عن الطعام خير علاج للجوع".[12](12)

فرض قانون الصحراء سلطته على الانسان وبدأ يتشكل في ملامحه من خلال تفصيلة الفقر فقد "بدت للفقر والجوع على الهذليين اثار جسدية وأخرى اجتماعية، فمن اثارها الجسدية نحول اجسامهم، بحيث لا يرى في صاحبها الا كل شيء جاف ويابس، واية ذلك في شعر ابي خراش يصف زميلا له"[13](13). يقول: [14](14)

سمح من القوم عريان اشاجعه

خف النواشر منه والظنابيب

ونعود لنؤكد تأثير البيئة في التشبيهات التي يوظفها الشعراء فقد شبه أبو خراش كف صاحبه

---

[10] اثر الصحراء في الشعر الجاهلي، سعد ضناوي، دار الفكر اللبناني، ط١، بيروت، ١٩٩٣: ٣٨.

[11] ديوان الهذليين: ١٢٥.

[12] اتجاهات الشعر عند الهذليين في الجاهلية والإسلام:٩٧.

[13] م.ن: ١٠٤.

[14] ديوان الهذليين: ١٦١.

وكأنها قطعة من الصحراء قاحلة تفاصيلها ظاهرة "فصاحبه تبدو كفه يابسة تبرز في ظهرها أعاصيبها، اما ساقاه فيابستان لا يرى منهما الا العظم"[15][١٥]، وقد تشكل الوصف نمطا فاعلا اكسب المعنى خصوبة وامتلاء.

لم يتوقف التأثير السلبي على العلامات الجسدية بل تعداها الى النسيج الاجتماعي" فكاد فقر الهذلي وجوعه يهدم كيانه واسرته، ويفرق بينه وبين زوجه وبخاصة حين تقارن الزوجة بين حال زوجها الفقير وحال المترفين والمنعمين الذين تنظر اليهم بإعجاب، فيدفعها الى التنكر لزوجها والازورار منه، بل وتحتقره وتعيره"[16][١٦]. وهذا ما عبر عنه أبو خراش في قوله[17][١٧]

رات رجلا قد لوحته مخامص وطافت برنان المعدين ذي شحم

غذي لقاح لا يـــــزال كأنه حميت بدبغ عظمه غير ذي جحم

تقول: فلولا انت انكحت سيدا ازف اليه او حمـــــلت على قرم

أحيانا تكون المتغيرات البيئية والاجتماعية خاضعة للمتناقضات يحكمها جوهر الواقع المعاش ففي الفضاء الصحراوي حيث الجدب والقحط يلقيان بظلالهما على حيوات اغلب المرتادين لهذا الفضاء يبرز بعض المترفين والمتنعمين فتطفو على السطح اثار السخط والتمرد على الواقع المعاش وتظهر تصدعات في النسيج الاجتماعي "فالشاعر يذكر ان زوجته رات ناحلا من الجوع وتطلعت الى شاب مكتنز اللحم فتمنته، وعيرته بانه لولا حظها التعيس معه لكان ذلك الشاب من نصيبها، تحظى معه برغد العيش". [18][١٨] ويمكن القول هنا بان المفاهيم قابلة للتغير والانقلاب الكلي تبعا للظروف المحيطة.

فرضت قسوة البيئة وخلوها من ابسط مقومات الحياة سطوتها على ساكنيها نتج عنها "ظهور

---

[15][١٥] اتجاهات الشعر عند الهذليين: ١٠٤.

[16][١٦] م.ن: ١٦١.

[1][١٧] ديوان الهذليين: ١٢٨.

١٨

طبقة الفقراء المشردين الذين تبدو على اسارير وجوههم الفرحة والسعادة إذا ما قدمت لهم هدية ولو كانت من سقط المتاع مما لا قيمة له من أحد اصدقائهم، كدليل على عدمهم وفقرهم، ويمكن ان نلمح ذلك في شعر ابي خراش الهذلي يعبر فيه عن شكره لصديق من ال صوفة اهداه نعلين"[19](19). يقول :[20](20)

حذاني بعد ما خذمت نعالي

دبية انه نعـــــم الخليـل

بموركتين من صلوى مشب

من الثيران عقدهما جميـل

بموركتين شدهما طفيـــل

بصرافين عقدهمـا جميـل

بمثلهما نروح نريد لـهـوا

ويقضي حاجة الرجل الرجيل

فنعم معرس الاضياف تذحى رحالـــــــهم شامية بليل

يقـاتل جـوعـهم بمكلـــلات

من الفرني يرعبها الجميل

من ناحية أخرى وفي مقابل الاثار السلبية التي يفرضها الفقر والعوز على المجتمع تظهر حالة إيجابية تتمثل بالتكاتف والتعاون الذي يغذي غريزة البقاء عبر تحدي مجهول الفقر والتقليل من حدة وطأته واستبدال اليأس بالأمل وإن كان بأقل الأمور قيمة فاستحضار الفرح بأبسط الأمور بمثابة تحدي للحزن الذي تفرضه الحياة القاسية، ويمكن وصفه بانه انتصار جزئي للأمل في

[17][19] اتجاهات الشعر عند الهذليين:٩٨.

(١٨) اتجاهات الشعر عند الهذليين في الجاهلية والإسلام.100/

9[1])[٢٠] ديوان الهذليين:١٤٠.

صراعه الدائر مع المجهول الذي يحطم امال الفقراء واحلامهم في البقاء. "فالشاعر يعبر عن فرحته الشديدة بهذين النعلين المقدمين له من دبية السلمي، وهو صاحب العزى، واحد سدنتها كما يذكر صاحب الأغاني، وطفق الشاعر يمدحه مغرقا في وصفه للنعلين واحكام صنعهما فهما من السبت"[21][٢١]. ويمثل مثل هكذا موقف اقصى درجات الفرح الذي يتخلل الذات الإنسانية التي تعاني الفقر.

ان الالتحام بين الذات الانسانية والطبيعة قد منحهما من الصفات المشتركة الكثير فقد يسبغ المكان على الذات الانسانية من صبغته ما لا يمكن تجاهله فالمكان يخرج أحيانا عن بعده الجغرافي ويشكل اندماجا مع الذات الساكنة فتتحد صفاته مع الشخصية مجسدة خصوصية العلاقة بينهما، وعندها يكون المكان نابضا ومتفاعلا وليس وعاء للسكن وحسب، " فالمكان هو الذي يشكل طبيعة الانسان وهواجسه وميوله وطموحاته وكل شيء لذا تكون هويته معروفة يؤطرها البعد المكاني"[22][٢٢]. وهذا ما وجدناه حاضرا وبقوة في شخصية العربي المرتاد للصحراء، فقد استمد الشعراء قوتهم واباءهم وعزة أنفسهم من قوة الصحراء وعظمتها ذلك الصرح المعماري الشامخ الغامض اضفى عليهم الشموخ والانفة وعزة النفس. ولذلك فقد انتصروا نفسيا على ثيمة الفقر التي اطرت حياتهم باطار معتم فحاولوا اضاءته بالتجاهل والشموخ إذ "يرى الهذليون ان الفقر ينبغي ان لا يكون أداة للمهانة والمذلة، وان يحس المرء رغم الجوع بالترفع والكرامة، وان يحافظ على عزة نفسه ويذكر صاحب الأغاني: ان أبا خراش الهذلي اقفر من الزاد أياما، ثم مر بامرأة من هذيل جزلة شريفة فامرت له بشاة، فذبحت وشويت، فلما وجد بطنه ريح الطعام قرقر، فضرب بيده على بطنه وقال: انك لتقرقر لرائحة الطعام، والله لا طعمت منه شيئا، ثم قال: يا ربة البيت هل عندك شيء من صبر او مر؟ قالت: تصنع به ماذا؟ قال: اريده، فاتت منه بشيء فالتهمه، ثم هوى الى بعيره فركبه فناشدته المرأة فأبى، فقالت له: يا هذا هل رأيت باسا او انكرت شيئا؟ قال: لا والله، ثم مضى وقد صور ذلك الموقف في شعره[23][٢٣]. اذ يقول:[24][٢٤]

واني لاثوي الجوع حتى يملني فيذهب لم يدنس ثيابي ولا جرمي

---

[20][٢١] اتجاهات الشعر عند الهذليين في الجاهلية والإسلام (.99 :

[٢٢] هاجس المجهول في الشعر العربي قبل الإسلام، جنان عبدالله يونس الزبيدي، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية الاداب، ١٤٣٤هـ_٢٠١٣م: 14.

[21][٢٣] التركيب البلاغي في شعر الهذليين، نزيهة زاير، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة ابي بكر بلقايد، كلية الاداب والعلوم الانسانية، ١٤٢٨هـ_٢٠٠٧م: .[125]

[22][٢٤] ديوان الهذليين:١٢٧.

واغتبق الماء القراح فانتهـي

اذ الزاد امسى للخـــراج ذا طعم

ارد شجاع البطن قد تعلمينـه واوثر غيري من عيالــك بالطعم

مخافة ان احيا برغم وذلـــة والموت خيـر من حياة على رغم

هنا تظهر صورة جميلة من صور الترفع والشعور بالكرامة في الحياة، فيصور لنا أبو خراش الهذلي الشاعر انه "رغم ما يعانيه من جوع شديد الا انه ابدى عزة في النفس وقدرة على المكابدة، وصبرا على الجوع، وقد اكتفى بالماء ليحبس نفسه عما اشتهته من الطعام، وان وجد يؤثر به عياله وأولاده، والا يفعل ذلك فالموت أجدر به من الحياة في مهانة ومذلة، وتلك صورة لافتة يرسمها الشاعر لعفة للنفس ورفض الضيم حتى وان وجدت الحاجة" .[25](25)

فتمثلت عزة النفس والشموخ والاباء وايثار الأبناء مدعاة للفخر فنجده "يفتخر لزوجته بانه يصبر على الجوع حتى ينكشف عنه، دون ان يلحقه به ضيم، وانه ليكفيه الماء القراح، بينما يتخم من حوله اشحاء النفوس بالطعام، اما هو فحتى ان وجد الطعام آثر به عياله وأولاده، وكل ذلك يصنعه حتى لا يوصم بعار الذل".[26](26)

يمكن القول ان ثيمة الفقر شكلت مجهولا مخيفا طارد ساكني الصحراء وطاردوه فانتصر عليهم مرة وانتصروا عليه أخرى بصبرهم واباءهم وقد كان تعبيرهم عن هذا المجهول الذي شكل صراعا من اجل البقاء بأشكال مختلفة من الصور وقد تميز تعبير ابي خراش في جاهليته عن الجوع بانه "اتسم بالمرارة وقسوة الحياة، فلم يجد ما يأكله".[27](27)

ثمة مجاهيل أخرى شكلت هاجسا مؤرقا للصعاليك وتشكلت مفاهيمها فضاء راسخا في اذهانهم مثلت وجهة نظر خـاصة عن الصحراء تجسدت بحيوانــات الصحراء ووحوشـــها التي ترمـــز عند الشـعراء الـــى ثنائية الحياة والموت فالإنسان منذ بدء الخليقة يبحث عن الخلود ودائما ما يفند الموت تلك الفكرة وقد شكل الموت الهاجس الأكثر خوفا بالنسبة اليهم فقد عبروا في اشعارهم عن فكرة الموت من خلال صور الصيد ومثلوا للموت بأمثلة متعددة فمرة يظهر على

[25] ٢٥ اتجاهات الشعر عند الهذليين في الجاهلية والإسلام. 92-91 :

[26] ٢٦ البناء الفني في شعر الصعاليك، ماجد القريات: .[1/2]

[27] ٢٧ اتجاهات الشعر عند الهذليين في الجاهلية والإسلام. 104 :

شكل صياد وأخرى على شكل كلاب وثالثة بهيأة فارس قوي مجهز بأشد أدوات القتال فتكا كالذي الفيناه عند أبي ذؤيب الهذلي في عينيته.

يرسم أبو خراش الهذلي صورة الموت عن طريق لوحة مطاردة يصف فيها "الحيوان وصراعه مع الموت، ليصور بذلك صراع أخيه مع الموت وانتصار الموت في كلا الحالتين، فيواسي نفسه ويعزيها بان الدنيا لا تبقى على حال والدهر يعطي ويسلب، ويصور حمار الوحش تصويرا دقيقا ويجعل معه الاتن وقد أظهرت حملهن يقودها الحمار الى الكلأ والماء وهو اقصى ما يتمناه الحيوان في الصحراء، يسير بها سيرا لينا مع سرعة خفيفة، ويصف الحمار بالحيطة والحذر وخوفه من غارات الصيادين يترقب من تلك الأرض المرتفعة وكانه عصا غليظة شديدة"[28]. يقول:[29]

أرى الدهر لا يبقى على حدثانه

اقب تبـــاريه جدائد حــول

ابن عقـــاقا ثم يرمحن ظلمه

إباء وفيه صولـــــة وذميل

يظل على البرز اليفاع كـأنـــه

من الغار والخوف المحم وبيل

وظل لهـــــا يوم كــان اواره

ذكا النار من فيح الفروغ طويل

فلما رأين الشمس صارت كأنها

فويق البضيع في الشعاع خميل

[28]٢٨القيم الاجتماعية: ٩٦. القيم الاجتماعية والفنية في شعر الصعاليك.

[29]٢٩ديوان الهذليين:١١٧.

وبعد ان يفرغ من وصف حمار الوحش ينتقل لتصوير المكان وكانه أراد ان يجعل الصورة مكتملة وان يجعل من ذلك المشهد مناطا لعرض مواهبه. ويتصف الشعر الصعلوكي بتحديد الأماكن بدقة، اذ يندر ان يسرد الشاعر قصة دون ان يذكر بعض المواضع، ومن المعلوم بالضرورة ان تحديد المكان بدقة يعطي القصة ايهاما بالواقع وهو شرط تسعى القصة الى تحقيقه من خلال تحديد الفضاء المكاني، بوصفه مسرحا للأحداث، اذ ان تحديد المكان يجعل الحكاية قابلة للتصديق ويصبح السرد بالتالي سردا لوقائع حقيقية تقبل التصديق .[30](30)

فالمكان يعمل على ايهام القارئ بواقعية ما يقرأ، اذ يرى بوتور أن "اللحظة الأولى التي يفتح فيها القارئ الكتاب ينتقل الى عالم خيالي من صنع كلمات الراوي. ويقع هذا العالم في مناطق مغايرة للواقع المكاني المباشر الذي يتواجد فيه القارئ" .[31](31)

لذلك يساعد المكان على تفكيك رموز النص الادبي وترجمتها الى واقع فعلي معاش من خلال التفصيلات المكانية بابعادها المتنوعة التي رسمها الشاعر لنصه، وياخذ تعالق الشاعر مع المكان طابع النفور في أحيان كثيرة. ذلك ان " المكان مؤطر في صورته المرئية بإشكاليات الحياة المعقدة التي تكشف عن معضلات الانسان وهي تتبدى في مرايا الفضاء الصحراوي العاكسة لكل ما يجول في اللاوعي من هواجس"[32](32). فالمكان بابعاده وتجلياته هو الوعاء الذي يحتوي الحدث، وبدونه لا يكتمل أي حدث فالشعر غالبا ما يرتبط بالمكان الذي انتجه والشاعر العربي " لم يكن قادرا على قول الشعر خارج المكان الذي كان يملأ عليه نفسه وروحه، ولا بالتخيل خارج حبل الحنين العارم الذي كان يشده الى هذا المكان شدا، فكان المكان بالقياس اليه بمثابة المادة الكريمة التي يستمد منها الهامه " .[33](33)

وللشعراء الصعاليك رؤية خاصة جدا للمكان تبعا للظروف المعاشة، والحياة المختلفة التي يحيونها، فالمكان بالنسبة اليهم جاذب طارد في ان معا، مأوى آمن ومميت في الوقت ذاته وتأتي تلك الرؤية نتيجة حتمية لتفاعل ثلاث بنى أساسية هي، البنية الفضائية: وهي المحددات المادية والحسية أي الأشياء المكونة للمحيط، والبنية الفعالية: او الحدث المرتبط بالمكان والسلوك المتوقع اتخاذه كما في المراقب والسجون، والبيئة المفاهيمية، وهي المفاهيم والقيم التي يحملها

٣٠[٣٠[/البنية السردية/ ٩٩. ينظر الشكل القصصي في القصة المغربية: ١/ ٢١٢.

]31[٣١بناء الرواية/ سيزا قاسم: ٧٤.

]32[٣٢هاجس المجهول :١٦

]33[٣٣السبع معلقات : مقاربة سيميائية انثروبولوجية لنصوصها، عبد الملك مرتاض: ٩٣.

الصعلوك تجاه ذلك المكان، وفي تفاعل هذه البنى يتكون لدينا فهم للمكان الصعلوكي[34](٣٤). ومن احدى صور الموت التي تتسم بالدقة والاحساس بالمرارة في الوقت ذاته، يقول أبو خراش:[35](٣٥)

وكان هو الأدنى فخل فؤاده

من النبل مفتوق القرار بجيل

الايمان بحتمية الموت يمكن عده أسلوبا من أساليب مواجهة هذا المفهوم الذي يشكل اخطر أوجه المجهول، والشعراء الهذليون لطالما اقروا بحقيقة الموت في اشعارهم وهذا ما نجده حاضرا في شعر ابي خراش الذي يصل في نهاية لوحة المطاردة الشعرية التي يقر في خاتمتها الى حقيقة مفادها " عجز ذلك الحيوان امام الموت الذي يتمثل في الصياد، وقد جعل الصياد في حالة من الرثاثة ووصفه بالاقيدر ليدل على قوة الموت وعجز الحمار بالرغم من يقظته وتوثبه وحنكته، ... وقد حرص الكثير من الشعراء الجاهليون على استخدام تلك الصورة في رثائهم" .[36](٣٦)

لوحة الموت عند الهذليين كان ابطالها من حيوانات الصحراء، واتسم تصويرهم بتفرد في رمزيته فمنح نتاجهم الشعري خصوصية، وقد كان لاستحضار الحيوانات رمزية عند الشعراء بشكل عام، وقد بيبن الجاحظ تلك الرمزية بقوله: "من عادة الشعراء اذا كان الشعر مرثية او موعظة ان تكون الكلاب هي التي تقتل بقر الوحش، واذا كان الشعر مدحا وقال كان ناقته بقرة وصفتها كذا ان تكون الكلاب هي المقتولة" .[37](٣٧)

تحتم الحياة في الصحراء الاعتقاد الكامل والتيقن بمفهوم الصراع من اجل البقاء وهذا أبو خراش يستخدم الحيوان رمزا، ومن ذلك قصيدته في رثاء خالد بن زهير:[38](٣٨)

ولا والله لا انســـى زهيـــرا

ولو كثر المرازي والفقـود

---

[34]٣٤ينظر: الرؤية الذاتية لاستجلاء المكان والزمان في الخطاب القصصي: ٢٠ (صحيفة[.

[35]٣٥ ديوان الهذليين: ١٢١.

[36]٣٦القيم الاجتماعية والفنية في شعر الصعاليك، الأمين محمد عبد القادر، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، كلية الدراسات العليا، كلية الاداب، ٢٠٠٨: 97.

[37]٣٧الحيوان، الجاحظ، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٣٨٥هـ-١٩٥٦م.2/20 :

[38]٣٨ديوان الهذليين:١٦١.

ابى نسيـــانه فقـــري اليه

ومشهده اذا اربد الجلــود

وذمته اذ اقحمت جمـــادى

وعاقب نوءها حضر شديد

ولا والله لا ينـــجيـــك درع

مظاهرة ولا شبـــح وشيد

ولا يبقى على الحدثان علج

بكل فلاة ظـــاهرة يـــرود

تخطاه الحتوف فهو جـون

كنـــاز اللحم فائلــه رديد

ان الحزن الذي سيطر على ذهنية الشاعر ترجمه من خلال تخصيص هذا النص لرثاء زهير، صور فيه هاجس الموت الذي يخيم على حيوات الموجودات، صورة الموت التي يسعى الشاعر لتجسيدها حرص فيها على إثراء مفرداته بالإحالات الغنية من خلال توظيف الحيوان رمزا لحالة مفاهيمية وشعورية بالغة التعقيد، اضفت على النص قدرة تعبيرية وثراء دلاليا، كما وأظهرت حجم التأزم النفسي بين الرغبة بالحياة وحتمية الموت وبذلك تتجلى الصورة الشعرية رمزا للتعبير عن الفضاء المفاهيمي والانفعالي للذات الشاعرة، لاسيما اذا ما تكررت في نتاجه الشعري بشكل لافت للنظر. وتتجسد في قصيدة ابي خراش " دلالة عميقة على واقع الشاعر وما كان يختلج في نفسه من اسى وحزن على فقد صاحبه، وان فقد زهير لن ينساه ولو كثر المفقودين، وتوالت الفواجع ومن ثم انتقل الى تلك الصورة الرمزية والتي مهد لها كعادته بتقرير مبدأ الفناء والموت، فلا ينجي الانسان درع ذو حلقتين ولا أبواب مشيدة وحصون منيعة، فالموت يصيب حتى ذلك العلج القوي الذي ينتقل فوق الأماكن المرتفعة يبحث عن مناطق الخصب

والكلأ".[39](39)

وقد يكون استخدام بعض الالفاظ يوحي بدلالة خاصة تمنح النص مقصديته "فقد استخدم كلمة (يرود) ليكون دقيقا في استكمال عنصري البقاء وفطرة الحياة، وذكر ارتياده ليدلل على تفتح الحياة امام العلج، ولكن الموت يترصد له ويقضي على تلك الآمال التي ظن انها قريبة فصادفه الموت، واذهب عنه نوء المطر الذي كان يرعاه"[40](40). واسدل الستار على الحياة بانتصار الموت تارة أخرى وهذه النقطة مثلت بدقة الإذعان لصروف الدهر، الذي لا يدوم فيه شيء، وان الزوال هو الحقيقة الحتمية التي تتغلب على كل مفاهيم البقاء والخلود.

استلهم الشاعر من رموز الطبيعة ما اعانه على تشكيل صورة كلية تحمل معنى عميقا موحيا بدلالات التوجع والعجز عمد فيها الى التصوير الرمزي مشبها عجز الذات الانسانية امام الموت مهما اتسم به من قوة وشده وصلابة. بعجز الحمار الوحشي الذي يرمز الى القوة والحذر والتوثب. ولطالما عمد الهذليون الى توظيف حيوانات الصحراء في تصوير ثنائية الحياة والموت. وقد اضفت هذه التوظيفات على ديوانهم الشعري طابعا خاصا وأطرته بخصوصية مميزة .

لم تكن الصحراء في منظور شاعرنا مكانا مجردا إنما تمثلت في ذهنه عالما يوحي بدلالات كثيرة ويخلق مفاهيما عميقة عن ماهية الحياة البشرية في ظل ما يلف هذا العالم الممتد من غموض وما يحمله من اسرار" فهو ابن هذه الصحراء التي اكسبته قسوتها بالقوة والصبر والإصرار والفقر، ومنحته الذهن الثاقب والذكاء الحاد فهي التي استمد منها تجارب حياته ونمط عيشته، فكشف عن موهبته في قول الشعر.[41](41)

ثانيا: فضاء ديناميكي:

ان من اهم ما يميز فضاء الصحراء بوصفه الصرح المعماري الأكثر غرابة أنه فضاء مزدوج؛ تمتزج فيه الحركة بالسكون، والانبساط بالانقباض، والحياة بالموت، والأمان بالخوف. فهو مسرح لمتناقضات كثيرة، وتلك التناقضات تمنحه خصوصيته وتفرده.

عمد الشعراء الى رصد كل حركة تحدث في الصحراء ومتابعتها بعناية واهتمام شديدين، وقد يرجع

---

[39]٣٩القيم الاجتماعية في شعر الصعاليك. 99 :

٤٠[٤٠]م.ن : ٩٩.

[41]٤١المتخيل الصحراوي في الشعر الجاهلي، سمية بومجان، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة العربي بن مهيدي، كلية الاداب واللغات، ١٤٣٧هـ_٢٠١٦م:٤٧.

السبب في ذلك الى طبيعة الذات الإنسانية الاستكشافية التي لطالما حاولت فك شيفرات المكان. وتفتيت الغموض الذي يلف الفضاء الصحراوي كان من أكثر الأمور التي اقضت مضجع العربي الذي عرف عن الصحراء طبيعتها التي تميزت "بكثرة المخاطر والمخاوف والتوحش وقلة منابع المياه وتقلب الرياح وقد اثرت هذه الطبيعة الصحراوية القاسية على حياة الشاعر الجاهلي فانطلق يصفها، لانها تمثل مسرح الاحداث والمغامرات والحروب والغزوات، والصيد، كما اهتم الشاعر الجاهلي بالحيوان في الصحراء، فوصف هيئاته وحركاته، كما أشار الى انواعه المختلفة، فذكر غذائه وصنفه الى الحيوانات الاليفة والحيوانات غير الاليفة".[42][٤٢]

اقترن مفهوم الصحراء عند العربي بشكل عام والصعلوك خاصة بالمجهول وهذا ما كان يذكي في نفسه القلقة شرارة المخاوف، الخوف من المطاردة، الجوع، الموت، الحيوانات المفترسة، كل تلك الجزئيات شكلت رؤية خاصة لهذا الفضاء عند ساكنه وانعكست هذه الرؤية على الشعر بشكل لافت، فقد عمد الشعراء الى تصوير كل ما تقع عليه اعينهم من طبيعة ساكنة او متحركة في الصحراء. وقد نجد تماثلا ملموسا "بين حياة الصعلوك والصحراء، فالصحراء بما فيها من هول وجدب وقفر تماثل الصعلوك في جديه وعوزه وافتقاره، هول الصحراء يمثل هول المصير الذي سيؤول اليه، والافتقار هو افتقار النفس التي هجرت الصديق والمؤنس وتاهت في غياهب سكون الصحراء.[43][٤٣]

ان حالة الفقر التي كان يعاني منها ساكنوا الصحراء وبخاصة الصعاليك دفعتهم الى الاغارة على القوافل التجارية وكان ذلك يتطلب مراقبة مستمرة للطرق التي تسير فيها القوافل وايصال الاخبار للجماعة أولا بأول، فانشأ هؤلاء مكانا خاصا بهم يساعدهم في المراقبة، واتخذوه في أعالي الجبال، واطلقوا عليه تسمية (المرقبة)، وقد تشكل عندهم هذا المكان رمزا فقد "كانوا يجدون في تلك الجبال والمراقب شخصياتهم والحرية التي ينشدون"[44][٤٤]. فهو يشعرهم بالعلو والسمو الذي يفتقدونه بعد طردهم من قبائلهم، ويمكن القول انه علو يشوبه الإحساس بالغربة، وفي الوقت ذاته مثل لهم أيضا الانفصال الذي ينشدونه، وخلقوا من خلاله عالما خاصا بهم. فالمكان يعبر أحيانا عن "الانفصام الحاد بين الذات الفردية والذات الجماعية"[45][٤٥].يقول في وصف

---

[٤٢][42] شعر الصعاليك ميزاته وخصائصه 78 :

[٤٣][43] ينظر: ديوان الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي: ١/٢٤-٢٥.

[٤٤][44] الخصائص الاسلوبية في شعر الصعاليك، حرشاوي جمال، أطروحة دكتوراه، الجزائر، كلية الاداب والفنون، ٢٠١٦م: 97.

[٤٥][45] البناء السردي في شعر الهذليين .363 :

المرقبة:[46]٤٦

لست لمرة إن لم اوف مرقبـــــة

يبدو لي الحرف منها والمقاضيب

في ذات ريد كذلق الفأس مشرفة طريقها سرب بالناس دعبـــوب

المرقبة تشكل فضاء ديناميكيا يكسر السكون الذي يلف الصحراء فيها حركة دائبة تتطلب الدقة واليقظة الدائمة للإغارة متى تحين الفرصة، فقد كان الصعاليك "يرصدون طرق القوافل التجارية وقوافل الحجاج القاصدة مكة، ومعنى ذلك انهم كانوا ينتشرون حولها في جبال السراة كما كانوا ينتشرون بالقرب من الطائف والمدينة واطراف اليمن الشمالية، ففي كل هذه الجهات يكثر هؤلاء الذؤبان من قطاع الطرق وقراصنة الصحراء، وهم في اشعارهم يتغنون بمغامراتهم"[47]٤٧. تلك الحركة المستمرة تبث في ارواحهم الإحساس بالحياة، يوظفونها في الفخر الذي يشكل تفصيلة مهمة في تكوينهم النفسي، يغرس في ذواتهم نوعا من التوازن " فاذا بالمكان الخالي القفر يتحول الى مرآة عاكسة لذات الشاعر، يعكس نفسه الخالية الموحشة، فكان الجبل (المكان العالي) ممتزجا بالشعور بالعلو ولكنه شعور مبطن بالغربة، وربما تحمل في الوقت نفسه سمة الخلود".[48]٤٨

يحتم مجهول الصحراء اليقظة والحذر وسرعة الاستجابة لمتقلبات الطبيعة، وحوادثها المفاجئة ففضاء الصحراء يتيح احتمالية التعرض لمخاطر هجمات الوحوش والضواري، بل واحيانا احتمالية التعرض للملاحقة من الانسان، وقد رسم أبو خراش لوحات بين فيها هذا المعنى، احداها يصور فيها فراره من قوم كانوا يريدون قتله، يقول:[49]٤٩

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم

]46]٤٦ديوان الهذليين: ١٥٩.

]47] ٤٧البناء الفني في شعر الصعاليك: ٢/١.

]48]٤٨البنية السردية في شعر الصعاليك، ضياء عبد الغني لفته العبودي، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية التربية، ١٤٢٦هـ_ ٢٠٠٥م: 98.

]49]٤٩ ديوان الهذليين: ١٤٤.

فعديت شيئا والدرس كأنما يزعزعه ورد من الموم مردم

يكشف هذا المقطع عن نوع من الخوف الممتزج بالمرارة يتمثل في العلاقة مع الاخر الذي بدا في النص بصورته السلبية، ويسترسل واصفا قدرته على الاستجابة الخاطفة للفرار من خطر الإمساك به والقصاص منه، ويمكن القول ان اهم ما يميز النص "تلك الصورة الجميلة التي قرن فيها أبو خراش بين أشياء اقل ما يقال عنها انها متنافرة شكلا ومضمونا، فهو يجري –طلبا للنجاة- بسرعة خاطفة اهتزت معها ثيابه والظاهر ان الصفة المشتركة بين المحموم والهارب هي الارتعاش واهتزاز الثوب".[50](50)

تتعدد الصور التي يعرض فيها الشاعر لطبيعة الحركة في الفضاء الصحراوي ففي صورة أخرى يعرض أبو خراش لإحدى مغامراته، فيصف سيره ليلا والهيئة التي كان عليها فيقول:[51](51)

وليلة دجن من جمادى سريتها

اذا ما استهلت وهي ساجية تهمي

يتمثل حضور الذات في الفضاء الشعري الواصف لحياة الصحراء باستحضار الرمز الذي يمثله في كثير من الأحيان الحيوان للتخفيف من الضغط النفسي الذي يبث في دواخله الخوف من جهة، وللإشارة الى شجاعته من جهة أخرى، ذلك " ان خصوصية المكان لا تعود الى تنوع الأمكنة التي تتوفر عليها البيئة من صحراء وقرية ومدينة فحسب، بل الى الحالة الفسيفسائية التي تعيشها، وتتجاذبها تفاصيل كل مكان من هذه الأمكنة، نظرا لوجود عدد من البيئات المتنوعة التي تحمل حالات واشارات الى الاختلاف المثمر"[52](52). وقد عمد أبو خراش الى استحضار ما تزخر به بيئة الصحراء من شواخص حية للإفصاح عن الفكرة التي يبتغي الوصول اليها وبيانها "ولطالما الفيناه يشبه نفسه بما يحيط به في فضاء الصحراء من وحوش وضواري من ذلك قوله وهو يصف نفسه في ساحة القتال :[53](53)

]50[٥٠التركيب البلاغي: .80.

]51[٥١ديوان الهذليين 130 .

]52[٥٢الرواية العربية الجديدة وخصوصية المكان، قراءة في روايات رجاء عالم، احمد جاسم الحسين، مجلة جامعة دمشق، المجلد [٢٥[، العدد (١_٢)، : ١١٠.

]53[٥٣ديوان الهذليين:١٣٣.

كأني اذا عدوت ضمنت بزي من العقبان خائتة طلوبا

إن توظيف الرموز في الشعر من شأنه ان يكشف دواخل الشاعر ويمنح القارئ مساحة قرائية أوسع، والرمز يمكن ان يحمل دلالة تقترب من السطح فيسهل الكشف عنها، او يكون موغلا في العمق فيتطلب أدوات نقدية وخبرات معرفية كبيرة. والرمز في ابسط تعريف له " كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه، لا بطريقة المطابقة التامة، وإنما بالإيحاء او وجود علاقة عرضية او متعارف عليها"[54][٥٤]. وقد عمد أبو خراش الى الرموز كشكل من اشكال التعبير عن مواقفه وما يحمله من رؤى "فالرجل بما يحمله من سلاح أصبح كالعقاب المنقض على فريسته، اذ الصفة المشتركة السرعة في طلب الفريسة (طلوبا)".[55][٥٥]

وفي استدعاء ثان للرمز يوظف أبو خراش حيوانا آخر من بيئته الصحراوية وهو يصف فراره من بني الديل في احدى مغامراته فيرمز لذاته الهاربة بغزال يركب راسه (عنادا) ويمضي مسرعا فيقول:[56][٥٦]

يطيح إذا الشعر صاتت بجانبـه

كما طاح قدح المستفيض الموشم

كأن الملاء المحض خلف ذراعه صراحيـــه والاخنـــي المتحم

تراه وقد فـــات الرماة كأنه

امام الكلاب مصـــغي الخذ اصلم

صفة العناد التي يصف بها الشاعر تلك الشخصية الرمز (الغزال) عبرت عن التحامه مع طبيعة الصحراء المعاندة لكل التقلبات البيئية تبقى صامدة بتفاصيلها لا تتغير معالمها. ويبدو انه أراد ذاته التي تعاند كل صروف الدهر المهلكة وتمضي قدما لتختار الحياة.

ثمة فضاء حركي يخلقه توظيف رمز (الغزال) في هذا المقام فهذا الحيوان بتميز بسرعة العدو فهو "يمثل نفسه بالغزال الذي إذا لسعه الذباب يمضي مسرعا (يطيح) كالقدح المستفيض، اي القدح

[54]٥٤معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، مجدي وهبة: ١٨١.

[55]٥٥التركيب البلاغي: ٨٠.

[56]٥٦ديوان الهذليين:١٤٦.

الذي يفيض بالقداح ويضرب بها، فكلاهما (الغزال والقداح) يتميز بالسرعة"[57](57). فالعامل المشترك للترميز يتجسد في تفصيلة السرعة التي تكون من اهم وسائل الحياة في فضاء الصحراء المملوءة بالأخطار والتي تتطلب سرعة الفرار. "فالشاعر يجري بسرعة كبيرة اهتز معها ثوبه حتى ان الناظر اليه لا يستطيع التميز بين الوانه (الثوب) فالأبيض الخالص (المحض) من شدة اهتزازه أصبح يبدو كالبردة المخططة التي يرتديها أبو خراش"[58](58). الامر لا يتطلب السرعة فقط انما يجب ان يجتمع معها صفة اليقظة الدائمة والتنبه المستمر لكل فعل حركي حوله، فبالرغم من ان الغزال يمضي مسرعا الا انه منتبه ومتيقظ لأصوات الكلاب التي تتعقبه، "وهو من شدة ما صر اذنيه (أي سواها للاستماع) اصبح يشبه حيوانا اصلم، والاصلم كما هو معروف: المستأصل الاذنين".[59](59)

وفي مقطع آخر يصف أبو خراش مشهدا من الحياة الحركية في الفضاء الصحراوي وهذه المرة باستحضار صورة ارنب يفر من صقر يلاحقه فيقول:[60](60)

رأى ارنبا من دونها غولا اشرج

بعيد عليهن السراب يزول

توائل منـــــه بالضــراء كانها سفاة لها فوق التراب زليل

فاهوى لها في الجو فاضل قبلها صيود لحبات القلوب قتول

فهو يريد القول: من خفتها كأنها سفاة تزل فوق الأرض، وجه الشبه هنا الزليل (المرور السريـع) على الأرض.

جو البادية وما يحمله من مخاطر وحروب وسعي مستميت للحياة جعلت حياة شاعرنا محفوفة بالمغامرات والمناوشات فهو قبل كل شيء صعلوك يسعى في الصحراء بلا وجهة، "فالخوف والترقب هما كل عدته، لذلك فهو يراه ويحس به ويقرأه في أعماق الدواب والحيوانات المحيطة به من ذلك فهو مطارد من نسر يعلم انه صيود لحبات القلوب أي الافئدة، لذلك اختل قلبه خوفا

[57]٥٧التركيب االبلاغي 88 :
[58]٥٨م.ن: 88
[59]٥٩م.ن: .89
[60]٦٠ديوان الهذليين:١٢٢.

لما أهوى، بمخالبه ليخطفه، ولو شاء لقال ان الطريدة خائفة لكنه اكتفى بالتلميح في قوله (اختل قلبها)" .[61][٦١]

خاتمة:

في ختام بحثنا عن فضاء الصحراء عند أحد الشعراء الصعاليك خرجنا بنتائج يمكن تلخيصها بالاتي:

النصوص مثلت تجارب حقيقية عاناها الشاعر، وظف فيها رموزا امتاحها من واقعه، حملت دلالات جسدت رؤيته الخاصة.

انعكس الفضاء الصحراوي الواسع القاحل على النفس البشرية واضفى من ملامحه على ساكنيه، وفي الوقت ذاته رسخ عندهم مفاهيم خاصة عن هذا الفضاء، كما بعث في ذواتهم الوحشة والخوف بسبب جهلهم بما يخبئه لهم فضلا عن الغموض الذي يلفه.

اتسم العالم الصعلوكي بفلسفة حياتية وجودية خاصة، ولم تكن حياتهم الا حلقات من المصاعب والمجاهيل يتصل بعضها ببعض مشكلة سلسلة من المخاوف التي لطالما سعوا الى تجاوزها والتغلب عليها.

اوجد أبو خراش الهذلي اشكالا مختلفة للتعبير عن فكرة واحدة، على مستوى بناء القصائد، وباساليب متنوعة.

التفاعل بين المكان والانسان كان حاضرا بقوة في شعر ابي خراش، وقد شكل فضاء الصحراء المكان البديل الذي اوجده الشاعر الصعلوك ليؤسس فيه عالما منفردا، ويبحث فيه عن بدائل من الموجودات.

امتازت لغة أبو خراش بالقوة والجزالة والصعوبة في أحيان كثيرة، وهذا انما يعكس التحاما مع فضاء الصحراء المعروف بقسوته وجفافه. تبرز اهم صفات ابي خراش كشاعر بدوي صافي الذهن دقيق الملاحظة حاد البصر متيقظ الحواس.

٦١[٦١] التركيب البلاغي: ٩٢.

قائمة المراجع

عبد القادر، أ. م. (٢٠٠٨). القيم الاجتماعية والفنية في شعر الصعاليك (أطروحة ماجستير). جامعة الخرطوم.

عبد الرحيم، أ. ع. أ. (٢٠١٧). شعر الصعاليك وتأثره بالبيئة (أطروحة ماجستير). جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

العبودي، د. أ. غ. ل. (٢٠٠٥). البنية السردية في شعر الصعاليك (أطروحة ماجستير). جامعة البصرة.

الغريب، م. ي. أ. أ. (٢٠١٢). اتجاهات الشعر عند الهذّاليين في الجاهلية والإسلام (أطروحة ماجستير). جامعة اليرموك.

الجاحظ. (١٩٥٦). الحيوان. مطبعة الحلبي.

المسعودي، أ. (د.ت.). الحكمة في شعر الصعاليك: دراسة تحليلية. مجلة أهل البيت.

المُلُوحي، أ. م. (محرر). (١٩٦٦). ديوان عروة بن الورد العبسي. دمشق.

القريات، م. (د.ت.). البناء الفني في شعر الصعاليك.

الزُبيدي، ج. أ. ي. (٢٠١٣). هاجس المجهول في الشعر العربي قبل الإسلام (أطروحة دكتوراه). جامعة الموصل.

الزائر، ن. (٢٠٠٧). التركيب البلاغي في شعر الهذّاليين (أطروحة ماجستير). جامعة أبو بكر بلقايد.

الزبيدي، س. ب. (٢٠١٦). المتخيل الصحراوي في الشعر الجاهلي (أطروحة ماجستير). جامعة العربي بن مهيدي.

بمجان، س. (٢٠١٦). المتخيل الصحراوي في الشعر الجاهلي (أطروحة ماجستير). جامعة العربي بن مهيدي.

ديوان الهذّاليين. (١٩٦٥). الدار الوطنية للطباعة والنشر.

هشام بن إسحاق. (د.ت.). السيرة النبوية.

ابن منظور. (٢٠٠٤). لسان العرب (المجلدات ١–٦). دار صادر.

مرتضى، أ. (د.ت.). السبع المعلقات: مقاربة سيميا أنثروبولوجية.

قاسم، س. (د.ت.). بناء الرواية.

وهبة، م. (د.ت.). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب.